وما أقبح التفريط في زمن الصبا • فكيف به والشيب في الرأس شاعل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى • فعمرك أيام تعد قلائل

وقال عبد الله بن المعلم رحمه الله خرجنا من المدينة حجاجا وإذا أنا برجل من بني هاشم من بني العباس بن عبد المطلب رحمه الله قد رفض الدنيا وأقبل على الآخرة فجمعتني وإياه الطريق فأنست به وقلت له هل لك أن تعادلني فإن معي فضلا من راحلتي فجزاني خيرا وقال لو أردت هذا لكان لي معدا ثم أنس إلي فجعل يحدثني فقال أنا رجل من بني العباس كنت أسكن البصرة وكنت ذا كبر شديد ونعمة طائلة وخدم فأمرت يوما خادما لي أن يحشو لي فراشا من حرير ومخدة بورد نثير ففعل فإني لنائم وإذا أقمع وردة قد نسيها الخادم فقمت إليه فأوجعته ضربا ثم عدت إلى المضجع بعد إخراج القمع من المخدة فأتاني آت في منامي في صورة فظيعة فهزني وقال أفق من غشيتك وانتبه من رقدتك ثم أنشأ يقول

شعر

يا خل إنك إن توسدت لينا • وسدت بعد الموت صم الجنادل
فامهد لنفسك صالحا تسعد به • فلتندمن غدا إذا لم تفعل

فانتبهت مرعوبا وخرجت من ساعتي هاربا إلى ربي كما تراني وأنشد بعضهم

يقول

من كان يعلم أن الموت يدركه • والقبر مسكنه والبعث مخرجه
وأنه بين جنات مزخرفة • يوم القيمة أو نار ستنضجه
فكل شيء سوى التقوى به سمج • وما أقام عليه منه أسمجه
ترى الذي اتخذ الدنيا له وطنا • لم يدر أن المنايا سوف تزعجه

وقال وهب بن منبه رضي الله عنه أصبت على غمدان وهو قصر سيف ذي يزن بأرض صنعاء اليمن وكان من الملوك الأجلة مكتوبا بالقلم المسندي فقرئ بالعربي فإذا هي أبيات جليلة وموعظة عظيمة وهي هذه الأبيات يقول

شعر

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم • غلب الرجال فلم تنفعهم القلل
واستنزلوا من أعالي عز معقلهم • فأسكنوا حفرة يا بئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما دفنوا • أين الأسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت محجبة • من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم • تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طال ما أكلوا دهرا وما شربوا • فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا

ويروى

ويروى أن عيسى بن مريم عليهما السلام كان معه صاحب له يسيحان في الأرض فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلى قرية فقال عيسى لصاحبه انطلق فاطلب لنا طعاما من هذه القرية وقام عيسى عليه السلام يصلي فجاء الرجل بثلاثة أرغفة فأبطأ عليه انصراف عيسى وهو يصلي فأكل رغيفا فانصرف عيسى عليه السلام من صلاته فقال أين الرغيف الثالث فقال ما كان إلا رغيفين قال فمرا على وجوههما حتى مرا بظباء ترعى فدعا عيسى عليه السلام ظبيا منها فذكوه وأكلوا منه ثم قال عيسى عليه السلام قم بإذن الله تعالى فإذا هو قائم يمشي فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى عليه السلام بالذي أراك هذه الآية من صاحب الرغيف فقال ما كانا إلا رغيفين فخرجا حتى أتيا قرية عظيمة خربة وإذا قريب منها ثلث لبنات من ذهب فقال الرجل هذا المال لنا فقال عيسى عليه السلام نعم واحدة لي وواحدة لك وواحدة لصاحب الرغيف فقال الرجل أنا صاحب الرغيف فقال عيسى عليه السلام هي لك كلها ثم فارقه عيسى وأقام هو عليها ليس معه ما يحملها فمر به ثلاثة نفر فقتلوه وأخذوا اللبن فقال اثنان منهم لواحد انطلق إلى القرية فأتنا بطعام فذهب فقال أحد الباقين للآخر تعال نقتل هذا إذا جاءنا ونأخذ المال نقسمه بيننا فقال الآخر نعم وقال الذي ذهب يشتري الطعام أنا أجعل في الطعام سما فأقتلهما وآخذ المال لنفسي ففعل فلما جاء قتلاه وأكلا الطعام الذي جاء به فماتا فمر بهم عيسى عليه السلام وهم حولها مصروعون فقال هكذا تفعل الدنيا بأهلها

وقال الهيثم بن عدي رحمه الله وجدوا غارا في جبل لبنان زمان الوليد بن عبد الملك وفيه رجل مسجى على سرير من ذهب وعند رأسه لوح من ذهب مكتوب عليه بالرومية أنا سبا بن نواس خدمت عيص بن إسحق بن إبراهيم خليل الرب الأكبر وعشت بعده دهرا طويلا ورأيت عجبا كثيرا ولم أر فيما رأيت أعجب من غافل عن الموت وهو يرى مصارع آبائه ويقف على قبور أحبابه ويعلم أنه صائر إليهم ثم لا يتوب وقد علمت أن الأجلاف الجفاة سيستنزلوني عن سريري ويتولوا ذلك حين تتغير الزمان وتترأس الصبيان ويكثر الهديان فمن أدرك هذا الزمان عاش قليلا ومات ذليلا وعن عمرو بن ميمون رضي الله عنه قال افتتحنا مدينة بفارس فدللنا على مغارة فيها بيت فيه سرير من ذهب عليه رجل عند رأسه لوح مكتوب فيه أنا بهرام ملك فارس كنت أعتاهم بطشا وأقساهم قلبا وأطولهم أملا وأحرصهم على الدنيا قد ملكت البلاد وقتلت الملوك وهزمت الجيوش وأذللت الجبابرة وجمعت في الدنيا ما لا يجمعه أحد قبلي ولم أستطع أن أفتدي به من الموت إذا نزل بي ويروى في الإسرائيليات أن عيسى عليه السلام بينما هو في سياحته إذ مر بجمجمة نخرة فأمرها أن تتكلم فقالت يا روح الله أنا بلوان بن حفص ملك اليمن عشت ألف سنة وولد لي ألف ذكر وافتضضت ألف بكر وهزمت ألف عسكر وقتلت ألف جبار وفتحت ألف مدينة فمن رأى فلا يغتر بالدنيا فما

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)